

ليست الدراما التلفزيونية وحدها القادرة على اجتذاب المشاهد وادامة تواصله مع الشاشة رغم انها الاشد قدرة على ذلك ، فالبرامج المنوعة والبرامج التوجيهية وحتى الندوات تستطيع ذلك بقدر مايتوفر لها من لغة فنية تتجلى في الاعداد والاخراج ومفردات الحرفة الاخرى وتستطيع ذلك بشكل خاص كلما اشتملت على مادة يجد فيها المشاهد مايمهه بهذه الدرجة او تلك اذ ليس كالتواصل مع الناس ضمان للاستمرار والتطور .. وهكذا كانت حلقة برنامج (الناس والتلفزيون) التي عرضت كمادة اولى في سهرة مساء الجمعة ٢٧ / ١ / ٨٩ مادة لاقتقر لعوامل الجذب والنجاح خاصة وهي تتناقش مع الناس شأننا بات من شؤونهم الاكثر حضورا في برنامج يومهم .. شأن التلفزيون ومايقدمه لهم ، فكيف والبرنامج كما رايناه في حلفته هذه يكسر التقليد الرتيب للتحقيقات التلفزيونية ليأتي بايقاع نابض بالحوية يشير الى ادراك مخرجته (سيثا هاكوبيان) لاهمية الشكل في تعميق المضمون حتى لو كان مضمونا مستلا من خصوصيات الناس فوظفت المونتاج لبث الحوية في الايقاع من ناحية والتبويب مادة البرنامج في اموضوعات من ناحية ثانية فكان الانتقال بين المتكلمين عرضا لوجهات نظر المتناقشين في ندوة حية حول تلك الموضوعات !

على ان الحسنة الاساسية التي لايد من تسجيلها للبرنامج في حلفته تلك انه يتيح لنا فرصة لتأمل وجهات النظر التي استمعنا اليها ودلالاتها ، ففيها الكثير مما يستحق الوقوف عنده كجزء من مسؤولية المنتجين ومسؤولية النقد معا ..

ولعل اول مايدعونا الى التأمل فيه تلك الحماسة للمشاركة في النقاش فذلك مصداق ماكررناه من ارتباط المادة التلفزيونية بالناس وبالتالي خطورة شأنها في حياتهم ، وهكذا كانت تعابير الرضى او الاستياء او السخرية تتدافع بين ثنايا الراي والراي الاخر ، مما يحتم على التلفزيون ان يفكر مرارا قبل

نقد تلفزيوني

الرقم ١٧ / ٢ / ١٩٨٩

التلفزيون للناس .. صلة وحقوق

قاسم عبدالامير عجم

نفسية وفكرية ..

وبمثل ذلك الالاح تبرز حاجتنا لتخليص برامج اطفالنا من العنف والرعب والتكرار غير المدروس ، واشباع تلك البرامج بالجمال والادهاش وهما يحلان القيم التربوية التي نريدها لجيل مستقبلنا .. ولن يقعدنا عن ذلك ماتم تحقيقه فعلا بالمقارنة مع سنوات مضت ، فالنجاح الدائم هو ان يغرينا بالزيد منه بل ان النجاح لن يكون حقيقة ثابتة ما لم يتواصل ويتصاعد .. ولذا لم تشفع لنا اعمالنا الدرامية الناجحة لدى الجمهور الذي كاد يجمع على ان كل او معظم اعمالنا الدرامية ليست واقعية ! او انها لاتعبر عنه بحق ! او انها متكلفة ولايمكن مقارنتها بالاعمال العربية ! بل وحتى انها ادنى مستوى مما شاهدناه من اعمال في السنوات السابقة كما افادت احدى المتحدثات عن ثقة وثقافة ، ذلك لان تلك الاعمال الناجحة لم تشكل تيارا مستمرا بل بقيت ومضات متفرقة او موجات تعلق مرة وتهدأ مرات !

والحق ، ان الدراما العراقية في ميزان مشاهديها كانت - وهي كذلك بالفعل - بحاجة للزيد من المراجعة والتحصيص للتخلص من انغالها التي يقف فيها ضعف البناء الدرامي والحوار وتكلفهما كأبرز معوقات التحامها بالمشاهد ، بل قد يوازيان في الاهمية حاجتها للصدق في التجربة المعروضة والجرأة في معالجة مضامينها ونظرتها

وسمعه .. تستوي في ذلك اغان عراقية وتلك التي تدرعت بالرقص وفخامة الديكور في انتاج مستورد فاذا بذيرعتها ذاتها ابرز عيوبها ، ولوجدنا انفسنا حقا في مواجهة ذلك التساؤل المتاع الذي اطلقه ذلك الكهل الجاد وتلك الفتاة الخجلى عن احقية تلك الاغاني او اهليتها لبذل ماتكلفه من مال وجهد . وهنا ليس امامي الا ان اعود الى ماذكرته قبل سنوات في احدى مقالاتي من ان البث للتلفزيوني - وقتها - يكلف ٨٠٠ دينار للدقيقة الواحدة فما بالك بتكاليفه اليوم ؟ وهل يستحق (الخائف من جرة الحبل) ان نعلن له خوفه ذاك بكل تلك التكاليف التي تهون امام تكاليف الذوق والمعنى ؟ وهل ذكرتنا تلك الاراء التلقائية او المثقفة بغرابة الرقص وملازمته لاغاني ستوديو (حسب يوسف) التي بقينا نستوردها وكأنها قدر شاشتنا الصغيرة في الثمانينات ؟ ايا كانت الحال فان ماورد في هذا البرنامج وماسيرد ليس مجرد مادة في بنية البرنامج نفسه بل هي مؤشرات لا بد من التصرف على ضوءها والا فلن نجد معنى لمعاودة توثيق المزيد من الاراء لتمضي الى اللعب التي تضم شريط الحلقة التي عرضت فيها ، واحسب ان ما قيل في اغاني التلفزيون ومايكن قوله في المزيد منها وبمزيد من التفاصيل والعمق يدعون للاستجابة اليه قبل غيره لما للاغنية من اثر استثنائي في تشكيل ذائقة المستمع ولما تحمله مضامينها والحانها من دلالات

عرض مالدیه وان يفكر مرارا في انجع السبل لاستثمار تلك الحماسة والتفاعل في فتح الطريق للمادة المعروضة الى قلب المشاهد وعقله . نعم فان تلك الحماسة نفسها لم تهمل تأشير المواد التي تأكد حضورها حتى كان هناك مايشبه الاجماع على تفضيل برامج معينة كبرامج العلم للجميع ، الرياضة في اسبوع ، والاسرة والطفل ، وهي برامج اكدت جديتها قبل كل شيء مما ينسف اي ادعاء بأي تناقض بين الجدية والانتشار . واكدت ايضا حيوية التقديم بما ينطوي عليه من بساطة ووضوح وحب للمادة التي يقدمها وللجمهور الذي تقدم اليه وتلك حكمة ذهبية امام من يخطط لبرامج جديدة في اي موضوع او اية فعالية فنية ..

وحين نتوقف عند الاغنية التلفزيونية وراء المشاهدين فيها سيبتدي اي جهد علينا بذله لاجراخ تلك الاغنية من عزلتها التي اوقعت نفسها فيها بما اعتمدته من مضامين ركيكة واشكال مفتعلة ، اشارت اليها اكثر من مشاهدة واكدها اكثر من مشاهد من منطلق الاحساس والتذوق وحدهما ، ومن منطلقهما والمعايير الثقافية والفنية معا ، ولعلنا لو اطلنا التأمل في تلك السخرية التي تحتشد بها اراء الذين تحدثوا عن الاغاني التلفزيونية وخجل تلك الفتاة وهي تشير لبعض مضامينها وعجيبها من عرض ذلك التهافت لادركنا كم اقترفت تلك (الاغاني) من خطايا بحق الفن الغنائي قبل ان تخذش ذوق المشاهد

لمعطيات انواعه . والا فهل كان هينا على مؤلفينا ، وعلى التلفزيون ذاته كجهة انتاج ، ان يكسر المشاهدون والمشاهدات .. الشباب والكهول ، انهم يستغربون ماتعرضه الدراما العراقية لعدم احساسهم بانه يعبر عن واقعنا ؟! وهل يهون على فنانينا الممثلين والمخرجين وفنني العمل التلفزيوني ان تذهب حصيلة جهودهم في اعمال تعاني من غريبتها عن جمهورها ذاته ؟ ؟ ومثال حي مما عرضه البرنامج لنفسه هل من السهل ان يتفق اغلب المتحدثين - على اختلاف مستوياتهم وزوايا رؤيتهم - على ضعف احدث اعمالنا الدرامية ومن اطولها (مسلسل نادية) وفشله حتى في ايصال معناه الى طالب جامعي بينما يفترض ان اخر اعمالنا قد استفاد من كل ماسبقه من انجازات او عثرات ؟ ؟ .. ابدأ ، ليس الامر سهلا قط بل هو نذير لا بد من ادراك معناه ولا بد من معالجته بارتياح اعماق وافاق حميمة الصلة بالواقع كخطوة اساسية للابقاء على صلتنا بجمهورنا ثم للتأثير فيه اما الدوران حول الهوامش خطوة فوق خطوة فنكرار فقير حصيلته ماسمعناه حتى يبدو الدفاع عنه مهمة اشد عسرا مما قد يتوقع صانعو تلك الاعمال مثلما راينا المخرج صلاح كرم وهو محرر في تبرير ماحدث لمسلهسله نادية على الرغم من انه - كما ذكرت في مقالتي عن المسلسل (الثورة ١ / ٨٩) - قام بجهد كبير لايقاف بناء مفكك على حد ادنى من الترابط ! ونحن نجد في برنامج (الناس والتلفزيون) هذا ، وهو من جديد التلفزيون لهذا العام ، عملا جادا على جانب من الحوية في التقديم الذي انجزته شميم رسام وفي الاعداد الذي قامت به هي والمخرجة سيثا هاكوبيان ... مما يدفعنا للتطلع الى حلقات اكثر نجاحا في تحديد موضوعاتها وفي اختيار وتنوع جمهور المتحدثين وفي تأمين الحوار مع اطراف العمل موضوع النقاش .. فالتلفزيون منذ وجد وكما سيبقى للناس ، وللناس فيه اكثر من صلة ولهم عليه اكثر من حق ...